قصة
قصيرة
بلوك ٢٣ أ
مها سيد عبدالرحمن

الجزء الأول

-"البقاء لله يا أستاذ هشام خالتك الحاجة صفاء اتوفت! أنا مجدي جارها"

توقف الزمن لوهلة وهو يعتصر عقله ليتذكر هذا الاسم الذي لم يسمعه منذ قرابة الخمسة عشر عاماً منذ رحيل والدته التي لم تكن على وفاق مع خالته صفاء مطلقاً، خاصةً حينما باعدت بينهما المسافات بعد انتقالها مع زوجها للعيش في محافظة بعيدة، لذا لم يتكبد عناء السؤال عنها ولو لمرة واحده بعد رحيل والدته، أجابه بنبرةٍ باردة:

-"ونعم بالله، ماتت امتى؟"

-" من يومين" أتاه الرد من المتصل، ليزيد من حيرته فقال مستفهماً:

-"يعني دفنتوها؟"

-"أكيد دفناها بقولك ماتت من يومين"

-"وبتكلموني دلوقتي ليه؟"

شعر بنبرة صوت المتصل قد تغيرت بعض الشيء ليعتليها التوتر والارتباك وهو يجيبه:

-"ما كناش نعرف حاجة عنك، ولما صاحب العمارة طلب إخلاء الشقة، نادية مراتي لقت وصية كانت كاتباها المرحومة فيها اسمك ورقم تليفونك ووصت إن إنت اللي تاخد كل محتويات شقتها بعد موتها"

ارتفع حاجبي هشام وهو يقول مستنكراً:

-"رقم تليفوني ازاي يعني؟! وجابته منين؟"

ازدرد مجدي ريقه وهو يجيبه في تلعثم:

-"ما اعرفش أنا قولتلك اللي عندي، اكتب العنوان عندك وحاول متتأخرش عشان صاحب العمارة مستعجل عالشقة"

-"ما تفضوها انتو وخلاص!"

احتد صوت مجدي وهو يجيبه:

-"دي وصية ميت يا أستاذ هشام! ما ينفعش اللي بتقوله ده!"

أنهى هشام المكالمة وهو يلتفت نحو منى زوجته وأمارات الذهول تكسو ملامحه، سألته وقد نقر القلق جوفها:

-"مالك يا هشام في إيه؟"

أخذ نفساً عميقاً ثم قال ممتعضاً:

-"مش كان نفسك أوي تسافري يومين، جاتلنا سفرية إجباري لمرسى مطروح!"

****

"بلوك 23!"

قالها هشام في مزيجٍ من الفرحة والتعجب، فبعد عناء رحلة طويلة وصلا أخيراً إلى العنوان، لكن شكل المنطقة كان غريباً للغاية!

أربع عمارات سكنية، تشكل مربع شبه مغلق، يتوسطه مساحة خالية واسعة نسبياً في منتصفها تماماً نافورة فارغة، لا يتناسب وجودها مطلقاً مع العمائر القديمة التي تحيط بها، التفتت منى إلى العمارة على يسارها وهي تشير إليها قائلةً:

-"بلوك 23 "أ"! هي دي العماره!"

ما أن أنهت عبارتها حتى اندفعت المياه من النافورة فجأة على نحوٍ غريب، انطلقت من حلقها شهقة عالية، وهي تخاطب هشام قائلةً:

-"ازاي اشتغلت لوحدها؟ مع إنها كانت فاضية تماماً من دقايق؟!"

لم يجد هشام من الكلمات ما يجيب تساؤلها، وقبل أن ينبس ببنت شفة انتزعه من شروده صوت قادم من الخلف:

-"أهلاً أستاذ هشام حمد الله عالسلامة، أنا مجدي"

التفت هشام إلى مصدر الصوت ليجد رجلا فارع الطول، نحيف الجسم، قد خلى رأسه من الشعر تقريباً فيما عدا بعض الخصلات البيضاء على الجانبين وفي أسفل

الرأس من الخلف، تحيط بعينيه هالات سوداء لافتة للنظر، يبدو في أواخر الستينات من العمر، بادله هشام التحية وهو يقول مستغرباً:

-"أهلاً أستاذ مجدي! بس انت عرفتني ازاي؟"

تجاهل مجدي سؤاله وقال مشيراً إلى العمارة:

-"اتفضلوا الشقة في الدور الثالث، يا شعبان تعالى شيل الشنط دي طلعها شقة المرحومة"

خرج من باب العمارة رجل ضخم الجثة، أسمر البشرة يظهر على ملامحه أنه كان يغط في نومٍ عميق، تهادى نحوهم بخطوات بطيئة ثم قال بصوتٍ أجش مخاطباً هشام:

-"تحت أمرك يا باشا"

حياه هشام بإيماءةٍ من رأسه ثم تحرك باتجاه مدخل العمارة، لكن منى لم تكن قد أزاحت ناظريها عن النافورة بعد، متجاهلة كل ما يجري حولها، فعاد إليها هشام وجذبها من ذراعها قائلاً في حزم:

-"يلا يا منى هنبقى نشوف موضوع النافورة ده بعدين"

سارت معه بضع خطوات دون أن تعقب بحرف، وقبل أن تدخل إلى العمارة استدارت فجأة نحو النافورة لتجدها قد توقفت وعادت فارغة تمامًا كما كانت!

****

صعد مجدي السلم يتبعه كل من هشام ومنى، وهما يتأملان أبواب الشقق المغلقة، ثلاث شقق في كل دور، ثم توقف مجدي في الدور الثالث واتجه نحو الشقة في أقصى اليسار منادياً:

-"يا نادية أستاذ هشام وصل!"

فُتح الباب وخرجت منه، امرأة تبدو في سن مقارب لسن مجدي، رسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة لم تنجح في إخفاء ملامحها المتجهمة، وقالت في ترحاب وهي تصافح منى:

-"نورتونا، دقايق ويكون الأكل جاهز"

أجابتها منى على استحياء:

-" متتعبيش نفسك يا خالة نادية إحنا أكلنا في الطريق، وبعدين عاوزين نشوف هنعمل إيه في محتويات شقة المرحومة بسرعة، علشان مش هنقدر نفضل هنا كتير"

تبادلت نادية نظرة ذات مغزى مع مجدي، الذي قال بدوره:

-"استحالة يا بنتي لازم تتغدوا معانا، تقدروا ترتاحوا في الشقة شوية لحد ما الأكل يجهز"

شكره هشام ثم أخذ منه مفتاح شقة خالته صفاء والتي كانت تتوسط الشقق الثلاث، فتح الباب وأضاء المصباح، ثم التفت نحو شعبان الذي كان يحمل الحقائب، لكنه تعجب حينما وجده قد وضعها بالقرب من الباب وغادر دون أن يخبره، بينما وقف مجدي يتابعهما من بعيد تطل من عينيه نظرات ترقب لم يفهم هشام سببها، سارع مجدي بإخفائها وهو يقول مبتسماً مشيراً إليه ليدخل:

-"اتفضل يابني!"

بادله هشام الابتسامه بدوره ثم أغلق الباب، كانت منى قد بدأت في استكشاف الشقة والتي كانت مكونه من ثلاثة غرف يتوسطها حمام، وصالة كبيرة في حائطها الأيسر باب لمطبخ متوسط الحجم، أثاث الشقة بأكمله يبدو قديماً للغاية، تطلعت إلى هشام متسائلة:

-"هنعمل إيه في العفش ده؟! مفيش حاجة ممكن نستفاد منها، كله قديم جداً حتى الأجهزة الكهربائية"

أطلق هشام زفرة حارة قبل أن يجيبها بنبرةٍ حائرة:

-"هحاول أبيعه ولو مقدرتش يبقى هنرميه أو حتى نديه لشعبان البواب"

أومأت برأسها موافقة ثم اتجهت إلى غرفة النوم الرئيسية، وألقت بجسدها المنهك على السرير لترتاح قليلاً من عناء السفر، بينما اتجه هشام إلى الشرفة التي في نهاية الصالة، فتح بابها الزجاجي ووقف يتأمل المكان من حولهم، لفت انتباهه وجود أشخاص في عمائر المربع السكني الثلاثة الأخرى يقفون في شرفات منازلهم

ويحدقون فيه على نحوٍ لافت، أثارت نظراتهم ارتباكه خاصةً تلك المرأة في العمارة المقابلة، امرأة أربعينية تجلس على كرسي خشبي هزاز تمسك في يديها بإبرتي تريكو يتدلى من بينهما قطعة من الصوف المغزول، ترمقه بنظراتٍ ثاقبة دون أن تتوقف يديها عن الحياكة، شعر هشام بحرارة جسده ترتفع من فرط التوتر، وقد عجز عن فهم تلك النظرات العجيبة من الجميع، ثم فجأة اندفعت المياه من النافورة فدخلوا جميعاً مسرعين إلى منازلهم وأغلقوا ستائر الشرفات، تعلقت عيناه على تلك النافورة لوهلة ثم زفر في ضيق ودخل هو الآخر ثم أغلق باب الشرفة، استدار ليتجه إلى غرفة النوم حيث ترقد منى، لكنه تجمد مكانه وقد لمح خيالاً يتحرك في المطبخ، قال بصوتٍ حذر:

-"منى إنتي في المطبخ؟"

لم يتلق رد، ازدرد ريقه وتقدم بخطواتٍ بطيئة نحو المطبخ يتفحصه بعينيه، لكنه لم يعثر على شيء يذكر كان المطبخ خالياً، تأمله في حيره ثم تحرك متجهاً إلى غرفة النوم، ليجد منى تغط في نوم عميق غمغم قائلاً:

-"يا بختك نفسي أعرف بتنعسي بالسرعة دي ازاي؟!"

حاول تجاهل ما رآه قبل قليل في المطبخ، وقد أقنع نفسه أنه مجرد وهم سببه الإرهاق الشديد نتيجة تعب السفر وقلة النوم، ثم قرر فتح الدولاب وبدأ يفتش في محتوياته، لكن جرس الباب قد انتزعه من انشغاله، فأسرع الخطى نحوه وفتحه، وكما توقع مسبقاً وجد مجدي يقف أمامه وهو يشير بيده نحو شقته قائلاً:

-"اتفضلوا الغدا جاهز!"

استأذنه ليوقظ منى، دخل مسرعاً إلى غرفة النوم، لكنه توقف عند باب الغرفة واتسعت عيناه عن آخرهما عندما وجدها مستلقية على ظهرها وعيناها مفتوحتان تطل منهما نظرات ثابته إلى السقف، تطلع بعينيه إلى حيث تنظر لكنه لم يرَ شيء، ناداها في خفوت:

-"منى! إنتي صحيتي؟!"

لكنها لم تنبس ببنت شفه ولم يبدُ عليها أدنى أثر أنها قد سمعته من الأساس، اقترب منها وهو يجر قدميه جراً ثم وضع يده على كتفها يهزها بحنو قائلاً:

-" في إيه يا منى انتي كويسه؟"

شهقت شهقة عالية وهي تعتدل جالسة بحركة حادة، انتفض جسده فتراجع إلى الوراء بضع خطوات يحدق فيها مذهولاً، فالتفتت نحوه وهي تلقي بعبارتها على مسامعه كالقنبلة لتضاعف من فزعه وحيرته على حدٍ سواء، بآخر ما كان يتوقع سماعه أو يخطر بباله:

-" هشام! هي خالتك صفاء ماتت إزاي؟!"

الجزء الثاني

دخلت منى على استحياء إلى شقة أستاذ مجدي يتبعها هشام تغمرهما عبارات الترحيب من الخالة نادية، جلسا على مائدة الطعام وشرعا في الأكل، صمت مهيب خيم عليهم جميعاً، اختلس هشام بعض النظرات إلى كل من مجدي ونادية فشعر بأنهما مرتبكان بعض الشيء حتى أنه لاحظ أنهما يتظاهران بالأكل، تنحنح وهو يبتلع ما في فمه من طعام ثم قال:

-" أستاذ مجدي هو خالتي صفاء ماتت ازاي؟!"

سقطت الملعقة من يد مجدي فحدجته نادية بنظرة مشتعلة، ثم تولت هي زمام الرد على هشام قائلةً:

-"إحنا عشرة عمر يا هشام يا ابني، كنت متعودة أعدي عليها كل يوم اقعد معاها شوية أو آخدلها من الأكل اللي بتحبة، وهي كانت بتحب الملوخية أوي، يومها كنت عملاهالها زي ما وعدتها قبلها بيوم، كانت طالباها مني مخصوص، حضرتلها طبقها وفضلت أخبط عليها ما فتحتش، أخدت نسخة مفتاح شقتها اللي سيباها معايا احتياطي ودخلت لقيتها نايمة في سريرها زي الملاك"

ثم اختنق صوتها بالبكاء وسالت الدموع على وجنتيها، اغرورقت عينا منى بالدموع تأثراً بينما سرق هشام نظرة خاطفة لا إرادية نحو مجدي فوجده ينظر إلى نادية بنظرة غريبة تشع إعجاباً وشبح ابتسامة يرتسم على شفتيه، استطردت نادية حديثها قائلةً:

-"بس يا هشام يا ابني، فضلت أصحيها ما صحيتش، طلبنا الدكتور بتاعها جالها بسرعة وهو اللي قالنا الخبر المشئوم، ربنا يرحمك يا صفاء يا حبيبتي"

أنهت عبارتها ودخلت في وصلة إضافية من البكاء، صمت هشام قليلاً ثم وجه حديثه إلى مجدي قائلاً:

-"أنا قصرت معاها أوي وهي عايشة لأسباب مش عاوز أدخل في تفاصيلها، ومش عاوز أقصر معاها كمان وهي ميتة، عشان كده أنا عاوز أروح أزورها بكرة"

كادت عينا مجدي تقفزان من مقلتيه وهو يحاول جاهداً الإبقاء عليهما والتظاهر بالتماسك، ازدرد ريقه وأجابه:

-"طبعاً يا هشام ده حقها عليك، احنا دفناها في المدافن بتاعة جوزها الله يرحمه، نروح الصبح ان شاء الله"

-"خلصي أكلك يا منى**!!!**" قالتها نادية بنبرة عصبية حادة مقاطعةً حديث مجدي، حتى أن منى أكملت صحنها رغماً عنها كالطفلة الصغيرة خوفاً منها، حاول هشام جاهداً كتم ضحكته وهو يراقبها تأكل بارتباك واضح.

بعد أن أنهوا طعامهم جلسوا يحتسون الشاي، فباغتتهم منى بسؤال لم يتوقعوه:

-"لكن هي إيه حكاية النافورة اللي تحت دي؟ أول ما وصلنا ما كانش فيها ميه وبعدين اشتغلت فجأة والميه ملِتها**!**"

امتقع وجه مجدي على نحوٍ لافت وأجابها متلعثماً:

-"ما تشغليش بالك بيها، هي كده عطلانه تشتغل شوية وتقف شوية، في تحتها خزان الميه بتتجمع فيه لما بتتطفي وترجع تطلع منه لما تشتغل"

مطت منى شفتيها متعجبة دون أن تعقب، بينما تساءل هشام:

-"مش غريبة شوية وجود نافورة في مكان زي ده وسط عماير سكنيه قديمة؟**!** وطالما هي عطلانة ما تصلحوها أو تطفوها خالص**!**"

خرجت نادية عن صمتها وهي تجيبه بانزعاج ملحوظ:

-"وانتو شاغلين بالكو بيها كده ليه؟ ما تركزوا في الشقة واللي فيها**!**"

وكزها مجدي بكوعه، فاكتسب صوتها نبرة أكثر رقة واستدركت حديثها:

-"أقصد يعني انكم لسه قدامكم مجهود كبير في تفضية الشقة فمفيش داعي تتعبوا نفسكم بالتفكير في حاجات ملهاش لازمة"

قضب مجدي جبينه وقد ضايقه ردها فقاطعها موجهاً حديثه لهما:

-"أصل النافورة دي عزيزة على سكان بلوك 23 كلهم عشان كده سايبينها شغالة، وحاولنا نصلحها قبل كده بس تصليحها هيتكلف مبلغ كبير احنا مش قده فقررنا نسيبها كده وخلاص"

أومأ هشام برأسه متظاهراً بالتصديق رغم يقينه بأنهما يخفيان شيئاً ما، ثم قرر متابعة الحديث:

-"بمناسبة سكان البلوك 23، أنا وقفت شوية في البلكونة وكان في كام حد واقفين بيبصولي بطريقة غريبة وخاصةً الست اللي في العمارة اللي قصادنا مش عارف ليه؟"

أجابته ناديه في حماس غير مبرر:

-"قصدك ابتسام؟! هي طبعها كده تحب تقعد في البلكونة تبص عاللرايح واللجاي واللواقف واللقاعد ما بتسيبش حد فحاله، عاوزه تعرف دبة النملة، طول ما إبرة التريكو فإيديها ممكن تفضل اليوم كله قاعده في البلكونه"

شعر هشام بعدم جدوى الحديث معهما، فقام واقفاً وهو يقول:

-"احنا تعبناكم معانا شكراً ليكم على كل حاجة"

ثم وجه حديثه نحو مجدي مستطرداً:

-"ما تنساش معادنا بكره"

بوجه مائل للاصفرار أجابه مسرعاً:

-"طبعاً مش هنسى يا هشام"

****

دلفا كل من منى وهشام إلى شقتهما، فقالت منى:

-"روح انت نام، أنا نمت شوية ومش جايلي نوم دلوقتي، هقعد أستكشف الغرف التانية واللي جواها يمكن ألاقي حاجة تنفعنا"

لم يجادلها كثيراً فقد كان في حاجة ماسة للنوم بالفعل، استلقى على السرير وطواحين من الأفكار تعصف برأسه، شيء ما يبعث على عدم الارتياح في كل ما يجري لكنه غير قادر على تحديد ماهيته بالضبط، غلبه تعبه فاستغرق في سبات عميق، لكنه ما لبث أن نهض مذعوراً وقد اخترقت صرخة منى أذنيه، ركض إلى المطبخ فلم يجدها، فتح باب الغرفة المجاورة لغرفة النوم فلم يجدها أيضاً صاح بأعلى صوته منادياً:

-"إنتي فين يا منى؟"

لم يتلق رد، هرع إلى الغرفة الثالثة وحاول جاهداً أن يفتحها لكنه لم يستطع، وكأنها مغلقة من الداخل بالمفتاح، صرخ بأعلى صوته وهو يضرب الباب بكلتا يديه في جنون:

-"ردي عليا يا منى!"

ولما لم تجبه، تراجع إلى الوراء بضع خطوات ثم انطلق راكضاً بأقصى سرعته نحو باب الغرفة وهو يمد يديه ليدفعه، لكنه ما أن وصل إليه حتى وجده يفتح عن آخره فاختل توازنه وسقط على الأرض، اعتدل مسرعاً وقد وجد منى تجلس ساكنةً على بعد خطواتٍ منه لكنها تعطيه ظهرها ولا يبدو عليها أنها قد تحركت من مكانها قط، تجمدت الدماء في عروقه وناداها:

-"منى إنتي كويسه؟"

استدارت ببطء فانتفضت كل ذرةٍ في كيانه وهو يحدق في وجهها الذي أصبح مرعباً إلى أقصى درجة، كان شاحباً للغاية، أصفر اللون لا أثر فيه للدماء، فمها أزرق وكأنها قد فارقت الحياة، لكن لم يكن ذلك أكثر ما أثار هلعه بل كانت تلك الدماء مجهولة المصدر التي تنزف من يديها، ثم فتحت فمها عن آخره وكأنها تحاول قول شيء ما، لكن لم يصدر منها صوت يذكر، ثم أشارت بإحدى يديها التي تتقاطر منها الدماء نحو ركن الغرفة، استجمع هشام ما تبقى من أعصابه وتحرك إلى حيث تشير لكنه ما أن بدأ في التحرك، حتى نهضت منى عن الكرسي الذي كانت تجلس عليه واتجهت نحوه بخطواتٍ سريعة لتقف أمامه بالضبط وقد تبدلت ملامحها على نحوٍ

يشيب له الولدان وكأنها أصبحت شخص آخر لا يعرفه، ثم فتحت فمها عن آخره لتنطلق منه صرخة ارتج صداها في أرجاء المنزل بأكمله!

-"هشام! هشام إصحى! مالك انت بتحلم بكابوس ولا إيه؟!"

انتفض هشام جالساً وهو يحاول السيطرة على أنفاسه المتلاحقة وضربات قلبه السريعة، وحبات العرق تتساقط على جبينه رغم برودة الجو، تطلع فيها بعينين ذاهلتين ثم شهق في فزع حينما وجد يدها مجروحة تنزف منها الدماء.

ربتت على كتفه محاولةً تهدئته وهي تقول:

-"ما تقلقش ده جرح بسيط، كنت بحاول أفتح الغرفة التالتة، لقيتها مقفولة بالمفتاح دورت عليه ما لقتهوش، فحاولت أفتح قفل الباب بالسكينة لكن زي ما انت شايف كدة اتعورت وبرضو معرفتش أفتحها."

دفن هشام وجهه بين راحتيه وهو يغمغم في فزع شديد:

-"الحمد لله إنك ما فتحتهاش يا منى"

ارتفع حاجبيها في دهشة ولم تفهم ما يعنيه، فقرر تغيير دفة الحديث قائلاً:

-"سيبك من موضوع الشقة ده دلوقتي وتعالي ننزل نتمشى عالبحر شوية، أنا حاسس إني مخنوق أوي ومش هقدر أفضل في الشقة دي أكتر من كده"

أجابته متعجبة:

-"بالليل كده وفي البرد ده؟"

فقال مازحاً:

-"هعشيكي بره عشان تدفي"

لم يكد ينهي عبارته حتى وجدها تقفز إلى شنطة الملابس التي لم تكن قد أفرغت محتوياتها بعد، استعداداً للخروج.

****

أثناء نزولهما من العمارة تحديداً عند مرورهما من أمام شقق الدور الأول فوجئا بأحد الأبواب يفتح ويخرج منه رجل متوسط الطول، ذو أنف طويلة وفم صغير، يرتدي نظارة طبية تطل من خلفها نظرات عينيه المريبة، قال متعجلاً:

-" أنا الدكتور نبيل، رايحين فين في البرد ده؟! ق..قصدي ما تتفضلوا عندي شوية، شعبان قالي إنكم قرايب المرحومة صفاء ولسه واصلين انهاردة"

انزعج هشام كثيراً من تدخله في شئونهما وأجابه في ضيق لم يبذل جهد يذكر في محاولة إخفائه:

-"شكراً يا دكتور نبيل، إحنا بنحب نخرج في البرد عن إذنك!"

أنهى عبارته واستدار مغادراً وهو يسحب منى من يدها والتي شعرت بإحراجٍ شديد من تصرفه، لكنه ما لبث أن هم بالخروج من العمارة حتى تجمد مكانه بعد أن اخترقت عبارة نبيل أذنيه وقد تغيرت نبرة صوته على نحوٍ لافت لتكتسب لهجة تحذيرية قائلاً:

-" سكان "أ" ما بيخروجوش بالليل!"

الجزء الثالث

التفت هشام نحو دكتور نبيل يحدق فيه ذاهلاً بعد تلك العبارة العجيبة التي ألقاها على مسامعه للتو:

-" سكان "أ" ما بيخروجوش بالليل!"

استعاد عقله كل الأمور المريبة التي واجهها منذ وصوله، فشعر بالدماء تغلي في عروقه وقرر الخروج من العمارة متحدياً!

اندفع نحو الخارج وهو يسحب منى من يدها لكنهما ما لبثا أن توقفا عن الحركة واتسعت أعينهما عن آخرها وهما يتطلعان في ذلك المشهد المريب، شخص يقف أمام النافورة في ثباتٍ عجيب وكأنه تمثال، وآخر يقترب منها وعيناه مثبتتان عليها على نحوٍ يثير الدهشة، ثم اندفعت المياه من النافورة بشكل مفاجئ، فانطلقت من حلق منى صرخة عالية لم يفهم هشام سببها، عقبتها التفاتة حانت منهما باتجاه منى، يحدقان فيها على نحوٍ مفزع، فشعرت باختناق شديد ثم تراخى جسدها وكادت تسقط لولا أن هشام أمسك بها مقاوماً ذلك الثقل الذي جثم على صدره فجأة!

-"ادخلوا بسرعة!" نطق بها نبيل وهو يقف عند باب العمارة من الداخل، فتراجع هشام مسرعاً إلى داخلها وهو لا يزال ممسكاً بمنى التي لا تبدو في حالة طبيعية على الإطلاق!

سارع شعبان بإغلاق باب العمارة "أ" بعد أن غادر غرفته راكضاً على إثر صرخة منى، ونبيل يتجه إلى باب شقته المفتوح يناديهم صائحاً:

-"دخلها جوا لحد ما تفوق!"

رغم عدم شعور هشام بالارتياح لتنفيذ ذلك، لكن حالة منى لم تكن تسمح بصعودها ثلاثة أدوار كاملة، فاضطر لإدخالها إلى شقة نبيل، أجلسها على الكنبة المجاورة لباب الشقة بينما دخل نبيل إلى المطبخ مسرعاً بعد أن أغلق باب شقته، أحضر كوب من الماء وسقاها إياه فشربته ببطء لكن لم يبدُ عليها أي تحسن، تطلع فيه هشام في غيظ شديد وهو يقول بعصبية:

-"ممكن تفهمني إيه معنى اللبيحصل ده بالظبط؟"

هم نبيل بالحديث لكن طرقات عالية على باب الشقة استوقفته، قام وفتح الباب ليجد كل من مجدي ونادية أمامه، اتجهت نادية بخطوات سريعة نحو منى وهي تقول بقلق مصطنع:

-" خير يا منى إيه اللحصلك يا حبيبتي ألف سلامة"

لم يُغفل هشام تلك النظرة النارية التي رمقت بها نبيل فور فتحه للباب، قال مجدي مفسراً وجودهما:

-"كنا واقفين في البلكونة وشفنا اللحصل لمنى فنزلنا جري"

لم يشك هشام للحظة واحدة في أن لوجودهما سبب مختلف كلياً، رمق نبيل بنظرة خاطفة والذي أشاح بنظره بعيداً في ارتباكٍ واضح، بدأت منى تتأوه ممسكةً برأسها ثم اعتدلت في جلستها وهي تنقل نظرها بينهم جميعاً مخاطبةً هشام:

-"هو إيه اللحصل؟"

ارتفع حاجبيه في دهشة ثم أجابها بنبرةٍ حذرة:

-"مفيش حاجة حصلت، شكلك ما ارتاحتيش كويس من تعب السفر"

ثم أمسك بيدها وساعدها على النهوض وهو يستطرد حديثه قائلاً:

-"يلا نطلع الشقة عشان ترتاحي"

تساءلت في براءة:

-"يعني مش هتعشيني بره؟"

أجابها هشام مبتسماً:

-"مش مشكلة، نطلب دليفيري"

قاطعته نادية في حزم:

-"وده يصح يا هشام تطلبوا ديليفيري وأنا موجودة اطلعوا ارتاحوا وأنا هبعتلكم العشا لحد عندكم"

لم يعقب هشام بكلمة إضافية واكتفى بنظرة متأملة في ملامح وجه دكتور نبيل ليتيقن مما كان يدور في رأسه، أومأ برأسه موافقاً على ما قالته نادية، ثم أخذ منى وصعدا إلى الشقة.

****

رقدت منى على السرير وهي تشعر بصداع يسحق رأسها، بعد أن أعطاها هشام دواء مسكن ثم أغلق باب الغرفة ليتركها ترتاح، اتجه إلى الشرفة ليتابع ما كان يحدث في الأسفل، لكنه لم يجد أحد مطلقاً، لاحظ أن النافورة فارغة، أحضر كرسي من الداخل وقرر الجلوس في الشرفة لمتابعة ما يجري بنفسه، أدار نظره في العمائر الثلاثة من حوله، لاحظ أن أغلب الشقق تبدو خالية، أبواب شرفاتها مغلقة ولا ينبعث من خلفها أية أضواء، بينما عدد منها يظهر الضوء جلياً من بين ثنايا باب شرفتها الخشبي في حالة كونه مغلق أو من خلف الستائر في حالة كونه مفتوح، لم يكن أحد يقف في الشرفات مطلقاً ما عدا شخص واحد يسكن في العمارة على يسار العمارة "أ"، لم يكد هشام ينظر إليه حتى أشار الشاب بيده محاولاً قول شيء ما، لكن هشام لم يفهم ما يعنيه، فرفع كتفيه وزم شفتيه مستفهماً ، فأشار له الشاب بيده ثانيةً ففهم أنه يقول "غداً!"

أومأ هشام برأسه موافقاً، ثم سمع صوت جرس الباب، فدخل مسرعاً ليفتحه، كان مجدي يحمل صينية كبيرة عليها أصناف من الأكل، أخذها منه هشام ووضعها على مائدة الطعام، وهو يغدق عليه عبارات الشكر والامتنان، ثم أغلق باب الشقة بعد أن انصرف مجدي ووقف يضع أذنه على الباب، حتى تأكد من إغلاق مجدي لباب شقته، وضع المفتاح في جيبه، ثم تسلل على أطراف أصابعه إلى الخارج، نزل الدرج متجهاً إلى شقة دكتور نبيل، طرق على بابها طرقات خفيفة فسمع صوت خطواته يتجه نحو الباب، فتحه وعلى وجهه أعتى أمارات التوتر والارتباك، لم

يعطه هشام المجال ليقول شيئاً، فدفع الباب ودخل إلى الشقة ثم أغلق الباب بهدوء، ودكتور نبيل يتطلع فيه متفاجئاً مما يفعله، رمقه هشام بنظرة تحدي وهو يقول في خفوت:

-"دلوقتي تقدر تتكلم براحتك!"

****

جلس دكتور نبيل على كرسي وثير في صالونه الأنيق وقال في هدوء:

-"شوف يا هشام، كتر المعرفة بيضر مش بيفيد، والأحسن ليك انت ومراتك انكم تمشوا في أقرب وقت، اللبيحصل هنا ما يخصكوش في حاجة"

قاطعه هشام منفعلاً:

-"ازاي ما يخصناش؟ واللحصل لمنى ده اسمه إيه؟!"

أجابه نبيل محتداً:

-"اللي حصل لمنى إنت السبب فيه، حاولت أمنعكم من الخروج وإنت اللعندت"

-"أنا مش فاهم حاجة؟ ولما انتوا مش عاوزين حد يتدخل في اللبيحصل جبتونا هنا ليه؟!"

-"مش إحنا اللي جبناكم!"

امتقع وجه هشام فأسرع نبيل بالحديث مفسراً:

-" أقصد دي كانت وصية المرحومة صفاء واحنا بنفذها مش أكتر"

-"طب ممكن تفهمني ليه سكان "أ" ما بيخرجوش بالليل؟"

ازدرد نبيل ريقه وهو يجيبه في توتر ملحوظ:

-"دي حكاية يطول شرحها ومش هتستفاد حاجة أما تعرفها، كل اللي أقدر أقولهولك حاول تمشي من هنا إنت ومراتك في أقرب وقت قبل ما تبقوا جزء من اللي بيحصل، بس لازم تنفذ طلب المرحومة صفاء الأول"

شعر هشام بأنه على وشك الجنون فقال في حيرة:

-"اللي هو إيه؟!"

-"في حاجة هي سايبهالك حاول تلاقيها"

-"مش فاهم حاجة؟"

-"اهدا ودور كويس وإنت هتفهم، بس لازم تستعجل شوية، وما تثقش فحد هنا!"

أثارت كلماته الأخيرة قلق هشام فتذكر صينية الطعام الموضوعة على الطاولة، لا يعلم ما الذي أخافه هكذا تحديداً، لكنه سارع بإنهاء الحديث مع نبيل والعودة إلى شقته، دخل الشقة فوجد منى تجلس على المائدة تأكل بنهم، أشارت إليه قائلة:

-"تعالى كل يا هشام إنت كنت فين؟ أكل الخالة نادية ده ما يتقاومش!"

-"إنتي مش كنتي فسابع نومة، إيه اللصحاكي؟"

-"ريحة الأكل صحتني، كنت جعانة أوي"

كان يتضور جوعاً هو الآخر، ولا شك في أن رائحة الطعام بالفعل لا تقاوم، جلس بجوارها وشرع بالأكل، ثم قال في هدوء:

-"لكن انتي صرختي ليه أول ما خرجنا من العمارة؟"

تطلعت منى في وجهه مدهوشة وهي تجيبه باستغراب:

-"أنا صرخت؟ مش فاكرة حاجة، كل اللفاكراه إني أول ما خرجت من العمارة حسيت إني مش قادرة آخد نفسي وأغمى عليا، وأما فوقت لقيتكم حواليا في شقة دكتور نبيل"

انعقد حاجبي هشام في تعجب وسألها ثانيةً:

-"يعني انتي ما شوفتيش الناس اللي كانوا عند النافورة؟"

-"ناس عند النافورة؟ لأ مش فاكرة خالص"

تنهد هشام في ضيق وتابع أكله دون أن يضيف كلمةً أخرى، وعقله لم يتوقف عن التفكير فيما يجري للحظة واحدة، وبعد أن انتهيا ابتسم قائلاً:

-"روحي انتي نامي وأنا هتأكد بنفسي من كل محتويات الشقة عشان نخلص الموضوع ده بكرة، بعد ما أرجع من المدافن"

لم تجادله منى كثيراً فقد كانت عيناها مثقلتان من شدة النعاس، اتجهت إلى غرفة النوم وغرقت في بحوره حتى الأعماق في دقائق معدودة كعادتها.

وقف هشام في منتصف الصالة وهو يجول بنظره في المكان من حوله متحيراً في اتخاذ قراره عن نقطة البداية في رحلة البحث عن شيء لا يعرفه، فكرة تقترب من الجنون كيف يمكن لأحد أن يبحث عما لا يعرفه، ثم اتسعت عيناه فجأة حينما تذكر حديث منى عن مفتاح الغرفة الثالثة، وباغتته ذكرى ذلك الحلم المفزع فانقبض قلبه وسرت قشعريرة باردة في جسده، لكنه تحرك في إصرار يبحث في كل شبر من الصالة عن ذلك المفتاح، أزاح السجادة، ثم أخرج جميع أدراج تلك الخزانة الضخمة القابعة في زاوية الغرفة، وأفرغ محتوياتها على الأرض لكنه لم يجد شيئاً، أثار انتباهه حافظة جلدية كبيرة الحجم بداخلها أدوات غريبة لم يفهم ما هيتها، أعاد كل شيء إلى مكانه، وهو يغمغم في نفاد صبر:

-"عاوزه مني إيه يا صفاء؟"

سمع صوت قادم من ناحية الغرف، أرهف السمع وتوقف كلياً عن الحركة، لكن الصوت توقف، دخل بخطواتٍ مرتجفة إلى غرفة منى لكن تلك السيمفونية التي صمت أذنيه كانت أقوى دليل على أنها تغط في سباتٍ عميق ولم تبرح مكانها مطلقاً، أغلق الباب بحرص شديد واتجه نحو الغرفة الثانية، فتح بابها وضربات قلبه تتسارع على نحوٍ لافت، ضغط زر الإضاءة بيده المرتعشة، وهو ينظر بعينيه في ترقب، ثم لفت نظره ذلك الشيء!

الجزء الرابع

وقف هشام عند باب الغرفة الثانية يحدق في ذلك الصندوق المعدني الذي لمع جزء من سطحه الخارجي فور سقوط الضوء عليه حينما ضغط زر الإضاءة، رغم ذلك المفرش الذي يغطي جزء كبير من سطحه العلوي، أزاحه ثم رفع غطاء الصندوق ببطء في ترقب، كاد يفرغ محتويات معدته حينما وقع نظره على خصلات من الشعر، بجوارها حقيبة صغيرة من التريكو، فتحها ليجد بداخلها مفتاح، لم يستغرق وقتاً يذكر في التفكير ليتيقن من أنه مفتاح الغرفة الثالثة الذي كان يبحث عنه، لكنه ما أن أمسكه حتى ارتعدت أوصاله من صوت صراخ منى، ركض مغادراً الغرفة، وفتح باب غرفة منى ليجدها في حالة انهيار وبكاء هيستيري، وضع المفتاح في جيبه وركض إليها فزعاً:

-"في إيه يا منى؟"

-"كابوس فظيع يا هشام، في حاجه وحشة في البيت ده، أنا كنت شاكة من ساعة ما وصلنا بس دلوقتي اتأكدت"

وقعت كلماتها على أذنيه كالصاعقة، فقد كانت تلك الحقيقة التي حاول جاهداً إخفاءها عنها حتى لا يثير فزعها، سألها في هدوء:

-"إيه اللي خلاكي تقولي كده بس؟"

نظرت إليه في توجس وهي تجيبه بصوتٍ مرتجف:

-"في حاجه معانا في البيت"

ازدرد هشام ريقه في ارتباك وقاطعها قائلاً:

-"اسكتي يا منى! مش معنى إنك حلمتي بكابوس يبقى في حاجه في البيت، وبعدين أنا قولتلك هنمشي بكرة ولو عاوزانا نمشي دلوقتي حالاً يلا بينا"

تبدلت ملامحها على نحوٍ مفاجيء أثار هلعه، فبدت جامدة هادئة، نظراتها خاوية، بعد أن كانت منهارة تطل من عينيها نظرات الخوف والفزع، ثم قالت بنبرة رصينة وبصوتٍ رخيم:

-"ما عادش ينفع يا هشام!"

تمنى هشام في تلك اللحظة لو باستطاعته الفرار وترك تلك المنطقة، بل المحافظة بأكملها، لكنه ما كان ليغادر ويتركها وحدها، حاول جاهداً التماسك والحفاظ على رباطة جأشه وسط ذلك العبث المحيط به، وقال وهو يستلقي على السرير بجوارها:

-"خلاص يا منى مش هنروح في أي مكان لحد ما نفضي الشقة، بس نامي انتي دلوقتي وبكره يحلها ربنا"

ألقى بالبطانية فوق رأسه محاولاً إخفاء ارتجافة جسده من فرط الخوف، فمنى ظلت على حالها جالسةً ترمقه بنظراتها الخاوية وملامحها الجامدة لا تتغير، لم يجرؤ على النهوض من مكانه ومغادرة الغرفة ثانيةً بعد ما حدث، وبقي ذلك المفتاح في جيبه يؤرقه ويثير فضوله حول ما سيجده بالغرفة الثالثة!

****

استيقظ صباحاً ليجد منى قد اسيقظت قبله على غير عادتها، وحضرت وجبة إفطار سريعة ببعض المأكولات المعلبة التي قد أحضرتها معها مسبقاً، نظر إليها في توجس يتأمل ملامحها، ثم قال متردداً:

-"صباح الخير"

تطلعت إليه مبتسمة وهي تجيبه:

-"صباح الفل، تعالى الحق الفطار قبل ما يبرد"

تحسس جيبه ليتأكد من وجود المفتاح فوجده مكانه، ألقى نظرة خاطفة على باب الغرفة الثالثة لكنه تردد في فتحها الآن، فهو على يقين أن ذلك لن يكون أمراً سهلاً ولا أحد يعلم إلى أين ستصل توابعه، فقرر تركه لاحقاً إلى بعد عودته من المدافن،

ثم تذكر أنه قد ترك ذلك الصندوق المعدني في الغرفة الثانية مفتوحاً، فسارع إليها ليغلقه ويخفيه في أية مكان قبل أن تراه منى حتى لا يزيد من خوفها، ثم خشي أن تكون قد لاحظت وجوده فسألها في حذر:

-"انتي دخلتي الأوضه دي انهاردة يا منى؟"

ارتفع حاجبيها في استغراب:

-"لأ أنا صحيت ودخلت المطبخ علطول علشان ألحق أحضرلك الفطار قبل ما تنزل مع أستاذ مجدي، بتسأل ليه؟"

قاوم تلك الرجفة التي سرت في عروقه، وأجابها متظاهراً بالهدوء:

-" لا مفيش حاجة بسأل عشان لو في حاجة حابة تاخديها منها قبل ما اتصل بالشركة التي هتيجي تفضي الشقة"

-"لا ملحقتش أشوف حاجه، عموماً بعد ما تنزل هبقى أدور براحتي"

-"لأ!!!!!"

قالها صارخاً حتى أن منى اتسعت عيناها في ذهول وهي تحدق فيه، فتابع متداركاً انفعاله:

-" أقصد يعني علشان ما تتعبيش نفسك"

ثم اكتسب صوته نبرة أكثر جديه وهو يستطرد حديثه قائلاً:

-"شوفي يا منى، أنا قررت اننا مش هناخد أي حاجه من الشقة دي، أنا هكلم شركة من الشركات التي بتنقل العفش ييجوا يفضوها وبعدين هودي كل الكراتين على سوق الخردة"

مطت شفتيها في دهشة:

-"ماشي يا هشام اللي تشوفه، بس ازاي هتخليهم يفضوها واحنا مش عارفين نفتح الأوضة الثالثة؟"

-"ما تشغليش بالك أنا هتصرف، المهم لما أنزل مع أستاذ مجدي ما تقعديش هنا لوحدك علشان ما تزهقيش لو اتأخرت خليكي عند الخالة نادية"

قالها رغم عدم شعوره بالارتياح لبقائها مع نادية مطلقاً، لكنه بالتأكيد سيكون أفضل من بقائها بمفردها في الشقة مع ما فيها!

****

نزل هشام بصحبة مجدي ليذهبا إلى مقابر عائلة زوج صفاء، بينما بقيت منى مع نادية كما كان يريد، خرجا من العمارة فأدار هشام عينيه في المكان من حوله، ليجد ابتسام ما ان لمحته حتى قامت من على كرسيها الموجود في شرفة منزلها، واقتربت من حافة الشرفة تحدق فيه على نحوٍ عجيب، وهي لاتزال ممسكة بإبر التريكو خاصتها، زفر في ضيق وتمنى لو يذهب إليها ليفهم ما مشكلتها معه، استدار ليتابع سيره خلف مجدي لكنه فوجئ بشخص يمسك بكتفه من الخلف، ارتجف في فزع واستدار بحركة حادة، ليجده الشاب الذي كان يشير إليه من الشرفة في اليوم السابق، بادره قائلاً:

-" أنا خالد جاركم في عمارة "ب""

قالها وهو يمد يده ليصافح هشام الذي بادله التحية وهو يمد يده ليصافحه بدوره مجيباً:

-"أهلاً يا خالد أنا هش... هشام"

لاحظ هشام أن يد خالد لم تكن فارغة، كانت بداخلها ورقه مطوية، نظر إليه خالد نظرة ذات مغزى فهمها هشام جيداً، فلم يظهر أي حركة لافتة للنظر، حتى لا يلاحظ مجدي الذي يتابع ما يجري عن كثب، قبض يده ووضعها في جيبه وهو يتابع حديثه المصطنع في الترحيب بخالد، الذي لم يطل بقاؤه كثيراً قبل أن ينصرف مغادراً، بعدها تابع كل من مجدي وهشام طريقهما إلى الشارع الرئيسي ليستقلا سيارة أجرة توصلهما إلى المقابر.

أثناء الطريق استغل هشام فرصة وجوده بصحبة مجدي وحده دون نادية، وسأله:

-"هي خالتي صفاء كانت بتشتغل قبل ما تطلع عالمعاش؟"

أجابه في حماس:

-"أيوه دي كانت كبيرة التمريض في المستشفى العام"

تذكر هشام تلك الحقيبة الجلدية والأدوات بداخلها، لكنه لم يفهم ما العلاقة بينها وبين مهنة التمريض، تابع هشام أسئلته:

-"وهي عايشه لوحدها بقالها قد إيه؟"

-"أكتر من 5 سنين من ساعة ما المرحوم جوزها باشمهندس عبد الله اتوفى، بعدها بسنتين طلعت معاش وفضلت عايشة لوحدها لحد ما ماتت، حياتها كانت صعبة في الفترة الأخيرة، الوحدة كانت هتجننها خاصةً إن ربنا ما رزقهاش بأولاد يونسوها ويسألوا عليها، ما كانش حد بيهون عليها وحدتها غير لين بنت ابتسام الله ير...."

بتر عبارته بغتة واصفر وجهه على نحوٍ ملحوظ، سأله هشام:

-"هي ماتت؟"

غير مجدي دفة الحديث بشكلٍ طفولي يفتقر إلى المهارة كلياً، ابتسم هشام ابتسامة هازئة وقد أدرك أنه استدرجه إلى حديث لو علمت به نادية لقطعته إرباً!

وصلا إلى المدافن، ونزل مجدي من السيارة يسبقه مسرعاً، ثم وقف يتحدث مع أحد حراس المقابر، والذي بدا أنه مستاء بعض الشيء، فأخرج مجدي شيء من جيبه ودسه في يده، ألقى الحارس عليه نظرةً خاطفة ثم سار ممتعضاً، تبعهما هشام وهو يراقب ما يجري بنظره وقد فهم أن مجدي أعطاه نقود!

أخرج هشام الورقة التي تركها له خالد وفتحها خلسة مستغلاً انشغال مجدي مع الحارس، فوجد فيها رقم هاتف محمول، طواها قبل أن يراها مجدي ووضعها في جيبه ثم لحق بهما، ساروا حتى وصلوا إلى المدافن المنشودة، تهللت أسارير مجدي ودخل مسرعاً يتبعه هشام، لكنه توقف بجوار الحارس وهمس قائلاً:

-"هي آخر دفنة في المقابر دي كانت إمتى بالضبط؟ "

-" كان عبد الله بيه الله يرحمه مش فاكر من كام سنه بالضبط؟! يمكن ييجي من أربع خمس سنين كده، أبويا الله يرحمه كان بيحبه أوي هو اللدافن عيلته كلها وزعل عليه جداً يومها، بعدها مراته الحاجة صفاء كانت بتيجي أول جمعة من كل شهر تزوره، عمرها ما فوتت شهر، وسايبالي المفتاح عشان أنضف المكان وأبلغها لو في أي

حاجة محتاجة صيانة، بس الشهر ده ما جاتش! ودي أول مره تعملها من يوم وفاة المرحوم، كان معادها الجمعة اللي قبل الفاتت! ان شاء الله تكون بخير"

امتقع وجه هشام وتجمدت الكلمات في حلقه، نظر ذاهلاً إلى مجدي الذي خرج متسائلاً:

-"إنت واقف عندك بتعمل إيه يا هشام؟"

لم يجد القدرة الكافية للحديث فخطا إلى داخل المقابر يجر قدميه جراً وعقله يعجز عن فهم ما يحدث كلياً!

الجزء الخامس

جلست منى بصحبة الخالة نادية تتجاذبان أطراف الحديث، وهما تعدان طعام الغداء استعداداً لعودة مجدي وهشام من المقابر، تنحنحت منى في تردد ثم اتخذت قرارها وسألتها قائلةً:

-" خالة نادية، هي المرحومة صفاء الله يرحمها ما كانتش بتشتكي من حاجات غريبة بتحصل في شقتها؟"

لاحظت ارتباك نادية على نحوٍ لافت حتى أن الملعقة التي كانت تقلب بها الطعام سقطت من يدها، تمالكت أعصابها وأجابتها بسؤال آخر وهي ترمقها بنظرةٍ ماكرة:

-"إيه اللي حصل عشان تسأليني السؤال الغريب ده يا منى؟"

-" كذا مرة أشوف خيالات غريبة وأحس بحركة حواليا، وبحلم بكوابيس مرعبة مش قادرة أفهم معناها؟"

سألتها في ترقب:

-"فتحتوا الغرفة التالتة؟"

ارتفع حاجبي منى وقد فاجأها سؤالها كثيراً، ارتبكت نادية من ردة فعلها فتداركت حديثها قائلةً:

-"أنا عارفة إن صفاء الله يرحمها كانت دايماً قافلة الغرفة دي بالمفتاح ومخبياه من فترة طويلة، بس ما أعرفش ليه ولا الغرفة دي جواها إيه؟"

مطت منى شفتيها وأجابتها في حيرة:

-"أنا دورت على مفتاحها بس ما لاقيتهوش، هشام قال هيجيب شركة تفضي العفش كله مره واحدة انهاردة، ممكن يخليهم يكسروا الباب"

اتسعت حدقتا نادية وغرقت في بحر متلاطم من الأفكار دون أن تنبس ببنت شفة!

****

ظل هشام طوال طريق العودة صامتاً تعتصر عقله الأفكار، حتى أن محاولات مجدي لفتح أية أحاديث معه تسليهما أثناء الطريق قد باءت جميعها بالفشل، فلم يبدُ أن هشام قد سمعه من الأساس، حتى آثر مجدي الصمت ظناً منه أن حالة هشام سببها تأثره بزيارة قبر صفاء!

وصلا إلى بلوك 23 وهشام لا يزال على حاله، وقبل أن يدخلا إلى العمارة، توقف هشام عن السير وقال بنبرةٍ صارمة:

-"اسبقني انت يا أستاذ مجدي وأنا عشر دقايق وهحصلك"

تعجب مجدي من طلبه لكنه أجابه متفهماً:

-"براحتك يا ابني زي ما تحب"

تظاهر هشام بالانصراف حتى تأكد من صعود مجدي، ثم أخرج الورقة التي فيها رقم خالد من جيبه وطلبه، انتظر لثواني قبل أن يجيبه، فقال مسرعاً:

-"أنا هشام يا خالد عاوز أتكلم معاك ضروري"

-"عارف يا هشام وانا كمان عاوز أتكلم معاك، بس الموضوع طويل والكلام في التليفون مش هينفع، خلينا نتقابل وقت تاني في أي مكان بره البلوك"

-"بس أنا كنت عاوز أمشي انهارده"

-مش هتقدر يا هشام!"

نزلت عبارة خالد كالصاعقة على مسامعه فسأله متعجباً:

-"مش هقدر ليه؟"

-"عشان مش هيسيبوك غير لما تعملهم اللي هما عاوزينه"

-"هما مين يا خالد؟ كفاية ألغاز أنا تعبت فهمني ايه اللبيحصل؟"

زفر خالد في ضيق ثم أجابه:

-"في حاجه المرحومة صفاء الله يرحمها مخبياها في شقتها ومحدش هيقدر يوصلها غيرك"

تعجب هشام كثيراً وقال مستنكراً:

-"واشمعنى أنا؟ ما الشقة كلها كانت معاهم وكان ممكن ياخدوا اللي هما عاوزينه من غير ما حد يعرف ولا يكلموني أساساً"

-"ما هم بقالهم فترة بيحاولوا بس في حاجة مانعاهم عشان كده جابوك"

ضيق هشام حدقة عينه وقضب جبينه وسأله في عصبية:

-"بقالهم فترة بيحاولوا؟ وعشان كده جابوك؟! يعني دي مش وصية المرحومة؟" ثم اكتسب صوته نبرة أكثر حدة وهو يستطرد حديثه:

-"ولا هي مش مرحومة أصلاً؟!"

تلعثم خالد وهو يجيبه:

-"شوف يا هشام كل اللي أقدر أقولهولك إني متأكد إن صفاء ماتت فعلاً"

قاطعه هشام صائحاً:

-"ودفنتوها فين؟"

لم يصله رد من خالد، فتضاعف غضبه وأردف صائحاً:

-"ما تنطق دفنتوها فين؟!"

لكنه سمع صوت انقطاع الخط، جن جنونه وأعاد الاتصال به مراراً لكنه لم يجبه ثانية، حاول السيطرة على انفعاله وعاد إلى داخل البلوك متجهاً إلى عمارة أ، لكنه فوجئ بنظرات ابتسام تلاحقه، لم تكن أعصابه تحتمل المزيد من الغموض، فسار منفعلاً باتجاه عمارة ج حيث تسكن ابتسام التي تطلعت فيه في ذعر وقد فهمت أنه في طريقه إليها، لكنه ما أن مر بجوار النافورة الفارغة حتى اندفعت منها المياه،

انتفض جسده فزعاً ثم التقط حجر من الأرض وألقاه عليها في عصبية، ثم تابع سيره نحو عمارة ج بخطواتٍ سريعة تميل على الركض، طرق على باب شقة ابتسام عدة طرقات ففتحت له وهي تنتفض في هلعٍ واضح، دفع باب الشقة بقدمه وسارع إلى الداخل، فتراجعت إلى الخلف بضع خطوات وهي ترمقه بنظرات الذعر تطل من عينيها حتى أنه أشفق عليها وشعر بالخجل من تصرفه، فقال معتذراً:

-"أنا آسف يا مدام ابتسام! مش قصدي أخوفك أنا بس عاوز أتكلم معاكي شوية"

أومأت برأسها إيجاباً، ثم أشارت إلى غرفة الضيوف، رسم ابتسامة مصطنعة على وجهه، واتجه إلى حيث أشارت، جلس على أحد الكراسي وبدأ بالحديث بهدوء:

-"مدام ابتسام أنا محتاج مساعدتك عشان أفهم إيه اللبيحصل، ولو في أي مشكلة بينك وبين خالتي المرحومة صفاء فأنا ما ليش علاقة بيها"

تبدلت ملامحها وعضت على نواجذها في غضب واضح حين ذكر اسم صفاء، ثم قالت في عصبية:

-"هي السبب فكل حاجة"

تراجع هشام في مقعده وقد فاجأه ردها كثيراً، فسألها باهتمام شديد:

-"السبب في إيه بالضبط؟"

التفتت إلى صورة طفلة صغيرة معلقة على الحائط، ثم تساقطت الدموع على وجنتيها ودخلت في نوبة بكاء شديد، احتار هشام فيما يتوجب عليه فعله، فحاول مواساتها قائلاً:

-"هي دي لين؟ ربنا يرحمها ويصبرك على فراقها"

انتفضت واقفةً وقد أصابتها حالة هيستيرية وجعلت تصرخ فيه مكررةً:

-"اطلع بره!" ثم راحت تدفعه بكلتا يديها نحو خارج المنزل.

استجاب لرغبتها وغادر دون أدنى مقاومة، وكل ما يشغل تفكيره أنه قد أضاف إلى أسباب حيرته سبباً جديداً دون أن يستفيد شيئاً يذكر!

اتجه نحو عمارة أ حيث كان شعبان يجلس أمام بابها يتابع خروجه من عمارة ج وعلى وجهه نظرة شماته واضحة، مر هشام بجانبه وصعد إلى شقة مجدي ونادية وهو يستشيط غضباً.

فتح له مجدي الباب فبادرته منى:

-"إنت كنت فين يا هشام الأكل هبرد واحنا مستنيينك؟!"

أجابها بابتسامة صفراء، وجلس بجوارها عالمائدة وهو يرد باقتضاب:

-"أنا آسف كنت محتاج أشم شوية هوا"

لم يسمع حرفاً مما قالوه وهم يتبادلون الأحاديث أثناء الطعام، أنهى طعامه سريعاً واستأذن ليعود إلى شقته بعد أن شكرهم، لحقته منى مسرعة، وهي متعجبة من تصرفاته، بدا مستاءً من لحاقها به فقال في عصبية:

-"إيه اللي جايبك ورايا يا منى ما تخلصي أكلك براحتك"

تأملت ملامحه بنظرة فاحصة وهي تقول:

-"في إيه يا هشام شكلك متضايق أوي؟ حصلت مشكله بينك وبين مجدي؟"

-"مفيش حاجه حصلت يا منى ممكن تسيبيني لوحدي شوية!"

ضايقها رده كثيراً فتحركت بخطوات عصبية نحو غرفتها ودخلت وأغلقت الباب، زفر في انزعاج وقد شعر بالضيق لحدته في الحديث معها فهي لا ذنب لها فيما يجري، بل أنه راوده شعور بالذنب لاصطحابها معه واقحامها في دوامة الغموض تلك!

وضع يده في جيبه متحسساً مفتاح الغرفة ثم عقد عزمه على فتحها في التو، اتجه نحوها بخطواتٍ سريعة ووضع المفتاح في القفل ثم أداره وفتح الباب، وضع يده على مكبس النور وفتحه، ثم وقف يتأمل محتويات الغرفة شبه الفارغة، إلا من سرير وكرسي، خطا بداخلها بضع خطوات وهو يدير نظره في أنحاء الغرفة، تذكر فجأة ذلك الكابوس الذي كانت منى تشير فيه نحو ركن الغرفة في نهاية الجدار ناحية يده اليمنى، اقترب منه بخطواتٍ حذرة، فلاحظ وجود ما يشبه فتحة باب قد تم سدها بالأسمنت، ثم طلاءها بلون مقارب بعض الشيء للون باقي الجدران، لكنها لا تزال

واضحة للغاية، اقترب منها وهمّ بالطرق عليها لكن الدماء تجمدت في عروقه حينما وجد منى تقف بجواره دون أن يشعر بقدومها، شعرها متناثر حول رأسها وعيناها زائغتين وملامحها مفزعة للغاية، خاصةً أنها تحدق فيه بتلك العينين، تراجع للخلف حتى التصق ظهره بالجدار وهو يصيح قائلاً:

-"بسم الله الرحمن الرحيم، فوقي يا منى"

لكنها أطلقت صرخة مجلجة بصوتٍ أجش لا يمت لصوتها بأية صلة ارتعدت لها أوصاله، ثم مدت ذراعيها وهي تنقض عليه كوحشٍ ثائر محاولةً خنقه بيديها، أمسك ذراعيها بكل ما أوتي من قوة، وهو يحاول إبعاد يديها عن رقبته، وصراخها الوحشي في وجهه لا ينقطع، ثم نجح في الإفلات منها وطوقها بذراعيه وهو يسحبها رغماً عنها إلى خارج الغرفة، وهي لا تكف عن الصراخ ومحاولات الإفلات من بين يديه دون جدوى حتى أخرجها بالفعل، لكنها ما أن خطت خارج الغرفة حتى سقطت مغشيةً عليها، حملها ووضعها على السرير في غرفة النوم ثم عاد وأغلق باب الغرفة الثالثة بالمفتاح ووضعه في جيبه، بعدها جلس أرضاً وهو يجاهد بصعوبة لالتقاط أنفاسه المتلاحقة من فرط التوتر والخوف!

رن هاتفه المحمول الذي كان في جيبه الآخر، فأخرجه للتسع عيناه من المفاجأة حينما وجد المتصل هو خالد، أجابه على الفور، ليحتقن وجهه بالدماء من شدة الانفعال حينما اخترقت عبارة خالد مسامعه وهو يقول:

-"انزل دلوقتي يا هشام هستناك على أول الطريق الرئيسي، أنا جاهز أحكيلك كل حاجة أعرفها!"

الجزء السادس

ألقى هشام نظرة على منى التي تغط في سبات عميق، وتردد في أن يتركها ويغادر المنزل بعد ما حدث، لكن شعوراً آخر بالمسؤولية تجاهها لتخليصها مما أصابها قد دفعه لحسم قراره بالنزول للحديث مع خالد، اتجه نحو باب الشقة وفتحه ليجد كل من مجدي ونادية يقفان بجوار باب شقته، ارتبكا حين رؤيته وتلعثما بحثاً عن كلمات تفسر وجودهما، لكنه لم يكن بحاجة لأي شرح، فلاشك أنهما قد سمعا صراخ منى ووقفا يسترقان السمع على الباب ليعرفا كيف ستكون النهاية، فلم يعيرهما أي اهتمام يذكر ونزل السلم راكضاً بعد أن أغلق باب الشقة، ثم فوجئ بدكتور نبيل يقف هو الآخر عند السلم المقابل لشقته، فرمقه بنظرة غاضبة وتابع سيره نحو باب العمارة، لينتهي المشهد بتحديق شعبان في وجهه، غمغم محدثاً نفسه:

-"كلكم هتتحاسبوا بس أفهم إيه اللبيحصل!"

كانت المياه تندفع من النافورة بارتفاعٍ لم يره من قبل، ومجموعة افراد من سكان البلوك من بينهم ابتسام، يراقبون ما يجري عن كثب من شرفات منازلهم ونظراتهم مثبتة على هشام منذ أن وطأت أقدامه باب العمارة أ، رمقهم بوابل من النظرات الحادة وهو يتحرك مغادراً البلوك إلى الطريق الرئيسي حيث ينتظره خالد، أطلق العنان لقدميه حتى وصل إليه، صحبه خالد إلى مقهى قريب ليجلسا فيه، ثم أخذ نفساً عميقاً وشرع بالحديث:

-"اللي هحكيهولك دلوقتي يا هشام غريب لدرجة إن أنا نفسي لحد دلوقتي مش قادر أستوعبه، المرحومة صفاء كانت ست لطيفة بس بحكم شغلها شخصيتها كانت قوية وسكان البلوك كله بيعملولها ألف حساب، لكن من ساعة ما باشمهندس عبد الله جوزها اتوفى وهي اتغيرت أوي، الوحدة خلتها خلقها ضيق فبقت بتتخانق مع أي حد خصوصاً نادية جارتها، نادية طول عمرها بتحقد عليها وبتخاف منها عشان

الناس بتعمل لصفاء حساب وهي لأ، الوحيدة اللي كانت بتهون الدنيا على صفاء هي لين بنت ابتسام، كانت بتحبها حب الجدة لحفيدتها، ولين كمان كانت بتحبها جداً، من يوم ما تولدت وفي بينم رابط من نوع خاص، لين كانت بتطلب من ابتسام توديها لصفاء فأي وقت وتفضل عندها بالأيام، لكن مع مرور الوقت ابتسام بدئت تغير من صفاء جداً ومن حب لين ليها، بس خوفها منها خلاها مش قادرة تنطق، وكمان سفر والد لين زود المشكلة وخلى ابتسام تبقى مش عارفة تتصرف معاها، لحد ما قررت إنها تحبس لين وتمنعها انها تروحلها تماماً، صفاء كانت فاهمة اللي ابتسام عملته ومكانتش قادره تجبرها إنها تسيب لين تروحلها، فكانت كل يوم تنزل تقعد عند النافورة ولين تطلع تشاورلها من البلكونة"

قاطعه هشام في إصرار:

-"أنا عاوز أفهم بقى إيه حكاية النافورة دي، مش فاهم لوجودها سبب منطقي؟"

ابتسم خالد وأجابه:

-" النافورة دي فكرة باشمهندس عبد الله الله يرحمه، هو اللصممها وأشرف على تنفيذها بنفسه، من زمان وهو متضايق إن المكان الواسع اللي بين العمايز الأربعة، بقى مكان لرمي القمامة، وبواقي مواد بناء وتجديد الشقق وأي مخلفات السكان مش عاوزينها، لحد ما جه يوم وعمل اجتماع وأجبرهم يفضوها، وقرر يعمل النافورة اللي غيرت شكل المكان تماماً وكلنا كنا فرحانين بيها وساهمنا في مصاريف تنفيذها كل واحد باللي قدر عليه وهو اتحمل الجزء الأكبر من التكلفة، ونفذ في تصميمها فكرة عشان يوفر كمية الميه المستخدمة فيها، عمل خزان تحت الأرض، تحت النافورة بالضبط، تنزل فيه الميه اللي المضخات ملت بيها النافورة وقت ما تطِّفي، ويعيد ضخها من الخزان وقت ما تشتغل، وكل فترة ينضف النافورة ويتم تصريف المية الغير نظيفة دي في مصارف الصرف الصحي من جوه الخزان، ويملا النافورة بميه نضيفة من المضخات.

مكناش نتخيل إن هييجي اليوم والنافورة دي هتقلب حياتنا رأساً على عقب، وهتبقى سبب الرعب اللي بقينا عايشين فيه، تصدق إن أغلب سكان البلوك مشيو بسببها؟!"

ارتفع حاجبي هشام مدهوشاً، لم ينتظر خالد أي تعقيب منه واستطرد حديثه وقد قضب جبينه واكتسب صوته نبرةً جادة للغاية:

-" وفي يوم صفاء كعادتها نزلت عند النافورة، فوقت كان بالليل متأخر شوية، لين شافتها من البلكونة فشاورتلها كالعاده، وبعدين استغلت ان ابتسام نايمة وفتحت الباب ونزلت عشان تروح لصفاء، لكن صفاء كانت طلعت شقتها ولين اختفت من يومها ومحدش في البلوك يعرف إيه اللحصلها، ابتسام قلبت الدنيا وبلغت الشرطة ودوروا عليها في كل مكان لكن ما لاقولهاش أثر"

اتسعت عينا هشام في ذهول وسأله متعجباً:

-"أنا مش فاهم أي حاجة! وإيه علاقة كل اللي انت حكيته ده بالبيحصل؟!"

ازدرد خالد ريقه وتابع بنبرة مرتجفة:

-"عشان ما حدش عارف حقيقة اللي حصل للين غيري!"

انطلقت من حلق هشام شهقة مكتومة، فتابع خالد حديثه:

-" لين كانت طفلة صغيرة عندها حوالي خمس سنين، اتعودت في الفترة الأخيرة تشوف صفاء عند النافورة، واليوم ده بعد ما شافتها وشاورتلها نزلت من الشقة وجريت عليها، لكن صفاء ما كانتش متخيلة إن لين هتنزل، فلما لقتها دخلت من البلكونه طلعت شقتها، ولين ببرائتها فضلت تدور عليها عند النافورة لحد ما وقعت جواها وغرقت!

أنا ما شوفتهاش لما وقعت، كنت واقف في البلكونه لما صفاء شاورتلها وطلعت شقتها، وبعدين دخلت عملت كوباية شاي وساندوتش وطلعت تاني، لقيت صفاء بتطلعها من النافورة وبتعملها إسعافات أولية، شوية وخدتها وطلعت بيها شقتها، أنا ساعتها افتكرتها لحقتها وهتخليها عندها لحد الصبح وبعدين توديها لابتسام، ما كنتش أعرف وقتها انها مانعه لين تروحلها.

الفجر سكان البلوك كلهم قاموا على صوت صريخ ابتسام وهي بتدور على لين، ولاحظت إن صفاء بتدور معاهم ما بقتش فاهم حاجة؟! شوية والشرطة وصلت، ابتسام اتهمت صفاء انها خاطفاها، لإنها كانت متأكدة إن لين نزلت عشان تروحلها،

لكن صفاء كانت منهارة والشرطة تعاطفت معاها جداً خاصة لما كل سكان البلوك شهدوا بقد إيه صفاء بتحب لين ومستحيل تأذيها، ومع ذلك طلعوا فتشوا شقتها بناءً على رغبة ابتسام وبرضو ما لاقوهاش"

قاطعه هشام متفاجئاً:

-"مش فاهم حاجة ما لاقوهاش ازاي؟ وإنت ما تكلمتش ليه؟"

-" ما لاقوهاش لإنهم ما دوروش بجدية، كانوا بيحاولوا يهدوا ابتسام عشان حالة الانهيار اللي كانت فيها، بس أسبابها مكانتش مقنعة نهائياً بالنسبالهم، خاصةً إن صفاء ساكنة في العمارة اللقصادها فإزاي هتكون خاطفاها وليه؟

دا غير إن حالة الحزن اللي صفاء كانت فيها كانت بتأكد إنها بتحبها جداً وزعلانه عليها بجد، وده خلى الكل متعاطف معاها، أما أنا ما تكلمتش ليه؟! فبصراحة لإني ما كنتش فاهم إيه اللحصل ولإني خوفت! خوفت أورط نفسي في حاجة ماتخصنيش، يمكن لو كنت اتكلمت كانوا شكوا فيا أنا خاصةً بعد ما طلعوا شقة صفاء ولقوها فاضية، بس أنا قررت إني أراقب صفاء بنفسي!

ما كانتش بتخرج من شقتها غير كل فين وفين، فكنت بتعمد أروح عمارة "أ" كل يوم والتاني، أعمل نفسي بزور دكتور نبيل ونقعد نلعب طاولة، لحد ما اكتسبت ثقته وبدأ يحكيلي إن شقة صفاء فيها حاجة مش طبيعية، نادية بتسمع أصوات غريبة وبتشم ريحة وحشة جداً طالعة منها، وكل ما تحاول تدخل عندها صفاء بتمنعها تماماً، وما بتسمحش لحد يدخل عندها غير واحدة كانت زميلتها من طاقم التمريض اللي صفاء كانت الريسة بتاعته، كانت كل يوم تيجي ومعاها شنطة كبيرة مقفولة، وتفضل عندها بالساعات، وبعدها بكام يوم الريحة اختفت تماماً!

لكن صفاء بقت غريبة جداً، حتى ملامحها اتغيرت، ما بقاش حد عاوز يتعامل معاها أو يقرب منها، ونادية بقت بتترعب منها ومتأكدة أنها مخاوية ومش لوحدها في الشقة، من كتر الأصوات اللي بتسمعها من عندها رغم انها عايشة لوحدها"

ثم أخذ نفساً عميقاً واتسعت حدقتاه وكأنه على وشك البوح بالسر الأعظم في تلك الحكاية:

-" لحد ما في يوم نادية جمعت اللي باقي من سكان أ، واتفقت معاهم إنهم يفتحوا شقة صفاء بالعافية، أنا عرفت الاتفاق ده من دكتور نبيل، ولما سألته بعدها إيه اللحصل؟ ما رضيش يحكيلي أبداً"

اعتدل خالد في جلسته وتنحنح في ارتباك قبل أن يلقي بعبارته الأكثر مفاجأة على مسامع هشام:

-"ومن يومها ما سمعتش أي حاجة عن صفاء ولا شوفتها تاني!"

الجزء السابع

بخطواتٍ سريعة ووجه محتقن من اندفاع الدماء فيه، وملامح يكسوها الغضب وأعين حمراء تتناثر منها نظرات مشتعلة كأنها جمر ملتهب، اتجه هشام عائداً إلى بلوك 23 بعد أن أنهى حديثه مع خالد وعباراته الأخيرة تدور في عقله:

-"بعد ما صفاء اختفت، ومع إصرار نبيل إنه ما يتكلمش عن اللحصل، قررت أسأل شعبان وبعد ضغط شديد وقرشين حلوين، طلعت منه بكلمتين بالعافية قالهم وهو مرعوب:

"في حاجة في شقة صفاء كنا بندور عليها وما قدرناش نلاقيها، عشان الشقة جواها اللهم احفظنا حاجة مش تمام منعتنا، أما الحاجة صفاء فين فانا ما اعرفش!"

عرفت من الخوف اللي في عينيه، والارتباك الشديد الواضح على ملامحه إنه بيكذب بخصوص صفاء وفي حاجة خطيرة مخبيها، واتأكدت إنها ماتت!"

دخل هشام عمارة أ متجاهلاً تحية شعبان، وانطلق رأساً إلى شقة دكتور نبيل، طرق الباب بكلتا يديه في إصرارٍ بالغ حتى فتح نبيل وهو يتطلع فيه بتوتر شديد، دفع هشام الباب ودخل إلى شقته عنوه، فتراجع نبيل إلى الخلف في خوفٍ واضح، أغلق هشام الباب ثم انقض عليه ممسكاً بتلابيبه وهو يصيح قائلاً:

-"إسمع يا نبيل لو ما قولتليش دلوقتي حالاً خالتي صفاء فين وإيه اللي عملتوه فيها، أنا هبلغ الشرطة وهوديكم كلكم في داهية"

اتسعت حدقتا نبيل حتى كادتا تخرجان من محجريهما، وهو يجيبه:

-"أنا ما ليش دعوة بحاجة، نادية هي السبب!"

-"مش عاوز أسمع ألغاز جديدة إنت هتحكيلي كل اللحصل وحالاً!!!!!"

أيقن نبيل أن المراوغة لن تجدي نفعاً، فأزاح يدي هشام الممسكة بثيابه، ثم جلس على كرسيه الوثير وشرع في الحديث:

-"شقة صفاء بقالها فترة فيها حاجة مش طبيعية وكلنا عارفين، أصوات غريبة وهمهمات مسموعة، بس ما حدش فينا كان عنده الجرأة يسألها أو يدخل شقتها، نادية حاولت كذا مرة وما عرفتش، وبقينا شاكين في علاقتها باختفاء لين بنت ابتسام، والموضوع انتشر بين سكان البلوك وبدئت ناس تمشي بسببها، وكانوا خايفين على ولادهم ليختفوا هما كمان!

وفي يوم من ييجي 3 أسابيع كده، نادية قالت لازم نحط حد للبيحصل ده وندخل شقة صفاء غصب عنها ونعرف هي بتعمل إيه علشان نخلص من الحاجات اللي معيشانا في رعب مستمر دي، وفعلاً خبطت على صفاء وأول ما فتحت دفعت الباب هي ومجدي ومعاهم شعبان، وأنا كنت واقف بتابع الموقف من غير ما أتدخل!

صفاء كان شكلها مرعب ومش طبيعي، وشها أصفر وعنيها زايغة وانفعالاتها غريبة، حتى صوتها كان مفزع، فضلت تزعق وتتخانق مع نادية في الوقت اللي مجدي وشعبان دخلوا يفتشوا شقتها، لحد ما وصلوا للغرفة التالته، لكن لقوها مقفولة بالمفتاح، حاولوا يكسروا قفل الباب ويفتحوها، لكن صفاء بقت عاملة زي الوحش الكاسر، فضلت تصرخ وهي بتبعدهم عنها باستماتة، ونادية بتحاول تمنعها اشتبكوا مع بعض هما الاتنين، ومجدي وشعبان سابوا باب الغرفة وحاولوا يفصلوا بينهم، نادية دفعت صفاء بكل قوتها عشان تبعدها عنها لأنها كانت ماسكة رقبتها بتخنقها بإيديها الاتنين، صفاء اختل توازنها واندفعت للخلف من قوة دفعة نادية، راسها اتخبطت خبطة قوية في طرف المكتبة الزجاج، فاتكسر وجزء كبير منه دخل في رقبتها، ووقعت على الأرض غرقانة فدمها!

أنا جريت عليها أحاول أسعفها بس للأسف كانت اتوفت في الحال! فضلنا كلنا في حالة ذهول مش عارفين نتصرف إزاي، نادية انهارت وقالت لو الشرطة دخلت في الموضوع كلنا هنروح في داهية مش هي لوحدها!

فضلنا نفكر نتصرف ازاي، نادية قالت:

-"هي أصلاً ما لهاش حد، ولا في حد بيسأل عليها ولا يهمه إذا كانت عايشة أو ميتة، وعلشان ندفنها في المدافن يبقى لازم يشوفها دكتور الصحة ويطلعلها شهادة وفاة، فإحنا نخلص منها هنا وخلاص!"
ارتجفت شفتا هشام وهو يسأله:

-"هنا فين؟"

بمزيجٍ من نظرات الخوف والحذر أجابه نبيل:

-"هنا جوا البلوك! استنينا لما الليل جه وفتحنا خزان النافورة ورمينا جثتها جواه! وكل يوم الصبح مجدي بينزل يفضي مية الخزان في مصارف الصرف الصحي عشان ريحة المية ما تبانش! "
لم يستطع هشام السيطرة على قدميه وألقى بجسده على أقرب كرسي، ران الصمت عليهما لوهلة قبل أن يقطعه هشام بصوت بالكاد يغادر شفتيه:

-"إنتو مش بس مجرمين إنتو معدومين الإنسانية!"

شعر بالدماء تغلي في عروقه، ولم يستطع السيطرة على غضبه فهجم على نبيل ولكمه في وجهه لكمه طرحته أرضاً ثم جعل يصيح:

- "وعرفتوا طريقي منين؟ وجيبتوني هنا ليه؟"

اعتصر نبيل عينيه في ألم وهو يقول:

-"أحلفلك أنا ما ليش ذنب فأي حاجة، ولا كنت متخيل إن الأمور هتوصل للدرجة دي، بس نادية كان عندها حق، دفنها كان هيودينا كلنا فداهية!

المصيبة إن الموضوع ما خلصش عند اللحصل بس، دي كانت بداية لمصيبة أكبر بكتير، بعد ما اتخلصنا من جثة صفاء، رجعنا شقتها علشان نفتح الغرفة التالتة، لكن اللي حصلنا ما كانش يخطرلنا على بال!

نادية جالها حالة تشنج شديدة كانت هتموت فيها ومجدي وشعبان جالهم اختناق أول ما قربوا من باب الغرفة، وقدروا يخرجوا من الشقة بالعافية، نادية يومها قالت إن

بعد اللي عملناه في صفاء، الروح اللي كانت ساكناها مش هتسيبنا فحالنا وهتأذينا، وفعلاً حاجات كتيرغريبة بدأت تحصل من الليلة دي!

النافورة بقت بتقف وتشتغل لوحدها بشكل غريب، ولما حد من سكان "أ" بيخرج بالليل بيتخنق وما بيقدرش يتحرك خطوتين بره العمارة، واللي بيتأمل في النافورة بيحس بحاجة بتسحبه ليها غصب عنه وبتسيطر على عقله لوهلة، وكإن الشيء اللي كان موجود في شقة صفاء بقى ليه تأثير عالبلوك كله!

سكان البلوك كلهم بقوا عايشين في حالة رعب متواصل وأغلبهم مشيوا! وسكان أ فضلوا يسمعوا أصوات جاية من شقة صفاء مع إنها فاضية!

بقينا متأكدين إن الحل الوحيد للخلاص من الوضع المرعب ده، هو بإننا نفضي الغرفة التالتة اللي في شقتها، لكن محدش فينا قادر يقرب منها!

وفي يوم نادية افتكرت إن صفاء حكيتلها قبل كده عن ابن اختها اسمه هشام، ووريتلها صورتك، كانت طبعاها وحطاها على رف المكتبة جوه برواز، جمب صورة عبد الله جوزها، كانت عاوزه تحس إن ليها عيله، وعلى طرف الصورة كان مكتوب رقم تليفون، بتعرف أخبارك وبتسأل عليك جارهم اللي ساكن جمب شقتهم القديمة، شقة والدها ووالدتها"

قاطعه هشام في ذهول:

-"عبد الرؤوف!! إزاي ما جاش في بالي؟! فعلاً هو الوحيد اللي عارف عنواني ورقم تليفوني، وكل ما أروح آخد الإيجار من سكان شقة جدي يفضل يسألني عن أخباري باهتمام غريب، ومره قالي هصورك في العمارة اللي كان عايش فيها جدك للذكرى، وأنا قولت أخده على قد عقله، أتاريه كان بيحضر التقرير اللي هيوصله لصفاء!"

تابع نبيل حديثه:

-" خطرت في بال نادية فكرة! إننا ندخل حد مش من سكان أ شقة صفاء، عشان يجيب الصورة ونتصل بيك ونخليك إنت التفتح الغرفة وتفضيها وتخلصنا من المصيبة اللي جواها"

سأله هشام في حذر:

-"اللي هي إيه؟"

-"جثة لين!" ألقى بعبارته كقذيفة مدوية على مسامع هشام، فاستطرد حديثه مسرعاً:

-" إحنا كنا شاكين في كده بعد اللي بقي يحصل في شقتها من بعد ما لين اختفت، بس الرعب اللي كنا عايشين فيه بسببها واللي بنسمعه في شقتها خلانا نسكت، خفنا لتأذينا!"

شرد هشام لوهلة وهو يحاول ربط جميع الأحداث ببعضها، ثم غمغم قائلاً:

-" بس أنا فتحتها ومنى كانت هتمو...تني! منى!"

قالها وتساءل في تعجب:

-"والحالة اللي منى فيها وبتزيد مع الوقت دي سببها إيه؟!"

مط دكتور نبيل شفتيه وهو يجيبه:

-" منى انجذبت للنافورة من أول لحظة وصلت فيها البلوك لو تفتكر، وبعدها تواجدت في الشقة، أكيد ده سبب إن تأثيره عليها يكون أكبر من أي حد تاني، وخلاصها منه مرتبط بتفضية الغرفة!"

تذكر هشام ذلك الكابوس الذي أخبرته به منى حينما عرض عليها مغادرة الشقة، ووجدها على يقين من عدم قدرتها على ذلك:

"شوفت من نفسي 3 نسخ، واحدة طفلة صغيرة بتبكي وبتطلب مساعدتي ولما قربت عليها، لقت نسخة تالتة مني لكن شكلها بشع بتمنعني، وفضلت بينهم هما الاتنين مش قادرة أتحرك وصوت صراخهم بيعلى وكل واحدة منهم بتجذبني من ناحية، وأنا مش قادرة أهرب لحد ما صحيت مفزوعة!"

انتفض هشام راكضاً إلى الشقة وقد أنساه هول ما سمعه أن يطمئن عليها، فتح الباب

ودخل في هدوء، ليجد منى واقفة عند باب الغرفة الثالثة تسند رأسها عليه وشعرها يغطي جانب وجهها تماماً، ناداها في خفوت:

-"منى إنتي صاحية؟"

ظلت ساكنه مكانها بلا حراك، ولم يبدُ أنها قد سمعت صوته من الأساس، اقترب أكثر وأمسك بذراعها محاولاً سحبها بهدوء ليبعدها عن الباب، لكنها التفتت إليه بعينين زائغتين وبملامح تشبه كثيراً ذلك الكابوس الذي رآه سابقاً، انتفض جسده في هلع، وحاول تقييدها لكنها باغتته بسكينه كانت تحملها في يدها اليمنى دون أن يراها، كادت تنغرس في بطنه! تفاداها بحركة سريعة فتسببت في جرح سطحي لكنه غير بسيط، سالت الدماء على ملابسه وصاحبها ألم شديد كاد يفقد معه توازنه، لكنه تماسك ليدور حولها متفادياً طعنه ثانية كادت تقتله، اعتصر يدها ليسقط منها السكين حتى نجح في ذلك، ثم أحكم الإمساك بذراعيها متجاهلاً صرخاتها الوحشية المتتالية، ثم سحبها نحو باب الشقة!

فوجئ بنادية ومجدي يقفان عند الباب يمطرانه بنظرات التحدي ومن خلفهما يقف دكتور نبيل، فأدرك هشام أنه قد أخبرهما بانكشاف سرهما الكبير، وأنه ومنى أصبحا يشكلان تهديداً كبيراً بالنسبة لهما!

توسطت نادية فتحة الباب وهي عاقدة ذراعيها، تخاطبه في تحدي:

-"على فين يا هشام؟! مش هتمشي غير لما تفضي الغرفة التالتة"

قال في خنوع مصطنع:

-"أكيد يا نادية هفضيها، بس زي ما انتي شايفة طول ما منى في الشقة مش هقدر أفتحها، لازم أخرجها من هنا الأول وبعدين أبقى أرجع أفتحها لوحدي"

حدقت في وجه منى الذي بات يشبه الأشباح مع تلك الصرخات المتواصلة، وقالت في ثباتٍ تحسد عليه:

-"منى هتفضل في شقتي لحد ما تخلص!"

شعر بحجم الورطة التي وضعته فيها فقد كان يريد إخراجها من تلك العمارة كلياً، لكنه تعمد ألا يجادلها كثيراً حتى يجد حلاً فيما يجري، حمل منى وأوصلها إلى شقة نادية، وجلس بجوارها حتى بدأت تهدأ قليلاً، ثم تركها معهم وعاد إلى الشقة، وجعل يتصل بخالد مراراً حتى أجابه، صاح فيه هشام مسرعاً:

-"خالد اتصل بالشرطة حالاً، وخليهم يطلعوا هنا! قولهم إن جثة صفاء في خزان النافورة، وجثة لين هنا في الشقة، في حاجة موجودة هنا بتمنع أي حد يحاول يطلع جثة لين، أنا هحاول أخرجها دلوقتي ومش عارف إيه اللي هيحصلي، ومنى عند نادية واخداها لحد ما تتأكد إني فتحت الغرفة وطلعت اللجواها، خلي بالك من منى لو جرالي حاجة!"

لم ينتظر حتى يسمع إجابة خالد وأغلق المكالمة، ثم توجه نحو باب الغرفة الثالثة، لكنه حينما مر بجوار الغرفة الثانية تذكر أمر ذلك الصندوق، فتوقف لوهلة ثم دخلها وأخرج الصندوق، تأمل في خصلات الشعر الموجودة بداخله وتلك الحقيبة الصغيرة من التريكو، فأيقن أنهما يعودان للين، لا شك أن تلك الحقيبة من صنع ابتسام!

اتجه نحو المطبخ وبحث عن مطرقة حتى عثر عليها، بعدها ذهب إلى الغرفة الثالثة ووضع مفتاحها في قفل الباب، فتح الباب ودخل الغرفة، ثم تحرك مسرعاً نحو ذلك الركن الإسمنتي في الجدار وجعل يطرق بالمطرقة في منتصفه تماماً، لكنه شعر بثقلٍ شديد يجثم على صدره وكأن الهواء يجاهد ليصل إلى رئتيه، بدأ الظلام يتسلل إلى عقله وأصوات همهمات تدور في المكان قاومها باستماته، لكن عضلات جسده تيبست على نحوٍ مفزع فلم يعد قادراً على الحراك، على الرغم من ذلك فقد أدت طرقته الأخيرة إلى تهشم الجدار الإسمنتي تماماً، جحظت عيناه حينما رأى ما يوجد خلفه! جثمان صغير يختفي كلياً تحت طبقة سميكة من الإسمنت!

لكن مع تحطم الجدار بدأ شعوره بالاختناق يتزايد، وأصبحت أقدامه رخوه كالهلام لم يعد قادراً على الوقوف، ثم خارت قواه، فسقط أرضاً رغماً عنه، وتلك الهمهمات تخترق رأسه، وشعوره بالهلع يتضاعف، ثم أحكم الظلام قبضته على عقله بشكلٍ لم يعد قادراً على مواجهته فغرق فيه رغماً عنه!

****

-"هشام! فوق يا هشام!"

اخترق صوت منى أذنيه، ففتح عينيه المثقلتين، ثم تنبهت حواسه كلها دفعةً واحدة، وجعل يتلفت حوله، وجد نفسه ممدداً على أريكة في الصالة، والشقة ممتلئة عن آخرها برجال الشرطة، وابتسام تجلس على كرسي أمامه في حالة انهيارٍ تام!

قبل أن ينطق بحرف وجد خالد يخرج مسرعاً من الغرفة الثالثة، يتبعه عدد من رجال الشرطة يحملون ما تبقى من رفات لين بداخل كيس مخصص لنقل رفات الموتى، اقترب منه خالد وهو يربت على كتفه، قائلاً:

-"حمد الله على سلامتك يا هشام، الشرطة طلعت رفات صفاء الأول من الخزان، وبعدها قدرنا بسهولة ندخل الغرفة ونطلع لين، اللي كان موجود في الشقة دي انتهى بخروج جثمان صفاء!"

****

قامت الشرطة بالتحقيق مع جميع سكان بلوك 23، وتم إدانة كل من نادية ومجدي وشعبان ونبيل، ونال كل منهم عقوبته القانونية!

كما تم استدعاء الممرضة التي اعترفت بمساعدة صفاء:

-" أنا ممرضة شرعي، يعني بساعد الطبيب الشرعي في تجهيز الجثث وأثناء الكشف عليها لإصدار تقارير الوفاة، صفاء كلمتني وطلبت مني فورمالين وأدوات لتحنيط الموتى، جبتلها اللطلبته أول يوم وفوجئت بجثمان الطفلة لين، صفاء كانت بتحبها جداً وما كانتش قادرة تتقبل موتها خاصةً مع إحساسها بالذنب وإن هي السبب في اللحصلها، لإنها يومها نسيت تطفي النافورة قبل ما تطلع، ولما رجعت بعد شوية عشان تطفيها لقيت لين غرقانه!

وبعد ما قصت بعض خصلات من شعرها عشان تبدأ في خطوات التحنيط ما قدرتش تكمل، وقررت تغير الخطة وتدفنها في المخزن جوا البيت عشان تبقى جمبها، وطلبت مني أجيبلها أسمنت، فاضطريت أعملها اللي طلبته، لإنها هددتني لو ما ساعدتهاش هتروح للشرطة بنفسها وتعترف علينا إحنا الاتنين، علشان مش باقيلها حاجة تخسرها، فساعدتها في صب الأسمنت عليها وده ضيع الريحة تماماً، لكن بعد فترة صفاء بقت بتشتكيلي من إنها بتحس بوجود شيء معاها في البيت وبتسمع أصوات وتشوف خيالات، طبعاً! وجود جثة وبقاياها جوه البيت جابلها مصيبة لحد عندها، وبعد محاولات نادية جارتها عشان تدخل الشقة، عرفت إنهم شاكين فيها وخافت ينكشف سرها، فطلبت مني أساعدها في سد باب المخزن بالأسمنت!

وبدئت حالتها تسوء وتاخد مهدئات عشان تقدر تنام من كتر الكوابيس اللي بتشوفها والحاجات اللي بتحس بيها، لحد ما انقطعت اتصالاتها بيا من فترة وأنا فرحت بده وما حاولتش أسأل عليها، كان نفسي أنسى المصيبة دي خالص!"

****

تم دفن رفات صفاء بمدافن زوجها وحرص هشام على المداومة على زيارتها بين الحين والآخر، وتكبد عناء السفر لساعات طويلة ليعاقب نفسه على تقصيره معها، وفي كل مرة يذهب لزيارة قبرها يتساءل:

-"ماذا لو كان يداوم على الاتصال بها وزيارتها وهي حية؟ ماذا لو كانت شعرت بأنها جزء من عائلته؟ ربما حينها لم تكن لتقع فريسة للوحدة تنهش في وجدانها لتدفعها إلى الجنون! وربما لم يكن شيء من كل ذلك قد حدث!"

تمت

الكاتبة مها سيد عبد الرحمن كاتبة ثنائية "مملكة سيڤارا"، "ملحمة الدماء الزرقاء".

المكتبة العربية للنشر والتوزيع.

الصفحة الرسمية للكاتبة:

https://www.facebook.com/Maha-Sayed-Abdelrahman-مها-سيد-عبد-الرحمن-117973116713609/

معرض القاهرة الدولي للكتاب
Cairo International Book Fair

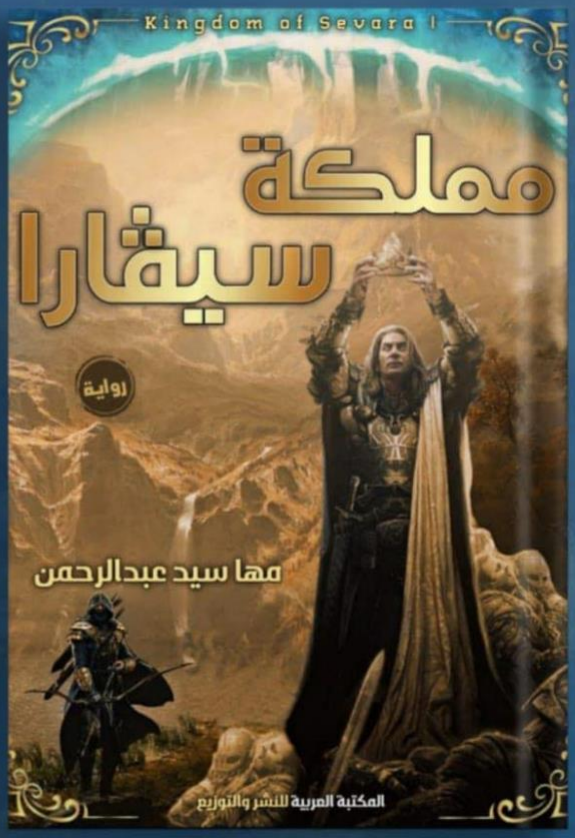

Cover designed by:

AMANY MAHMOUD